

من وراء البحار

انجلترا والتجارة العالمية

رى مستر هنرى كلاى الذى ظل عشر سنوات مستشاراً اقتصادياً لبنك انجلترا ، وكان أستاذاً للاقتصاد فى جامعة مانشستر ، وهو الآن مراقب فى كلية نوفليد بأوكسفورد ، أن الدور الذى تقوم به انجلترا فى التجارة العالمية آخذ فى الاضمحلال . وقد شرح هذا الرأى فى مقال كتبه بمجلة الشؤون الخارجية الأمريكية (عدد أبريل سنة ١٩٤٦) وفيه بسط مركز انجلترا فى تجارة العالم قبل الحرب العالمية الاولى ، حيث اتخذ هذا المركز دليلاً على ما أصاب هذه التجارة من نقصان . فقد كان مركز انجلترا قبل تلك الحرب من حيث سياستها الاقتصادية وتنظيمها فى السنوات العشرين السابقة على سنة ١٩١٤ فريداً فى بابه ليس له مثيل فى عصر آخر أو فى بلد آخر . فأولاً كانت حرية التجارة مطلقة ونقل الأموال حراً ، وكان احتياطي الذهب يتراوح بين ثلاثين وأربعين مليوناً من الجنيهات الانجليزية فقط ، ومع ذلك كانت الثقة فى الأسواق لا تتزعزع ، ومثل هذه الحرية دليل على التوازن فى العلاقات التجارية والمالية بين أهم بلاد العالم .

وكانت العلاقات الخارجية تعكس صورة الصناعة البريطانية فى الداخل ؛ فقد كانت قائمة على التخصص الكبير فى الصناعة من أجل الاصدار والتجارة الدولية . وكان أهم الصناعات المنسوجات والفحم والآلات الهندسية وبناء السفن . وكان الغرض الأساسى الذى تعمل له هذه الصناعات هو الاصدار أولاً وآخرأ . وأدى هذا التوسع إلى خاصة أخرى من خصائص انجلترا هى أنها أهملت الزراعة ، فكان عدد المشتغلين بها ٠.٧٪ فقط . فكانت انجلترا أكبر دولة تجارية فى العالم وهى مركز نشاط اقتصادى دولى لم يكن له مثيل فى التاريخ بعد الامبراطورية الرومانية .

ثم قامت الحرب العالمية الاولى ، ولسنا نعرف حتى الآن مدى تأثيرها . ومن الطبيعى أن انجلترا لم تكن لتستطيع أن تحتفظ طويلاً بمركزها الممتاز حتى لو لم تقع الحرب . على أن من أوائل آثار الحرب أنها تقف النشاط فى التجارة وتقطع من أوصالها ، وتحول دون المرونة فى التغير تبعاً لظروف الأحوال . لذلك وجدت الصناعة البريطانية نفسها فى سنة ١٩٢١ أمام تغير فى الأسواق استمر ست سنوات ، واضطرت إلى أن تعمل على التحول بحيث تلائم هذه التغيرات ، مع وجود ضعف فى التجارة .

على أن بريطانيا لم تكن عناية جدية بهذا التغير ، وظلت عشر سنوات تظن أن السبب فى الازمة هو الانخفاض الدورى فى التجارة ، وفى هذه الأثناء صار التحول ثابتاً . ولم يعد فى الامكان اكتساب بعض ما فقد بالرغم من إصرار الانجليز على التطلع لما قبل الحرب .

ثم قامت الحرب العالمية الثانية . ولننظر قليلاً إلى ما ينتظر أن يكون عليه موقف انجلترا فى التجارة : هل هناك من شك فى أن موقفها سيكون مثله فى الحرب العالمية الاولى ، بل على الغالب أسوأ حالاً ؟ لقد عرفت الأسواق الخارجية كيف تقوم بحاجاتها ، وشجعت

من وراء البحار

انجلترا نفسها على ذلك ؛ فالهذه الآن لها صناعة قطنية تزيد على صناعة للكثير . وهي قادرة على اكتساب كثير من الأسواق الخارجية القليلة التي بقيت للكثير ، وفي أستراليا صناعة صلب أرخص في جهات كثيرة عن الصناعة الانجليزية . وفي الهند وأستراليا صناعة تعدين وهندسة أوجدتها الحرب . ولا شك في أن ذلك سيسبب قيام مشكلة حادة في انجلترا بالنسبة للبطالة فيها بعد الحرب . ومن المحتمل أن تعمل الحكومة الانجليزية على تشجيع السوق الداخلية ، فيقوم الاقتصاد الوطني على حماية السوق الوطنية بدلا من الاصدار الخارجي ، أجل ! إن انجلترا ستظل دولة تجارية عظيمة ، ولكن لن تكون مركز الصناعة القائمة على الاصدار للخارج .

قد يمتزج بأن اهتمام انجلترا بالاصدار ليس بنتيجة اختيار وإنما هو نتيجة اضطراب . فتعدادها سبعة وأربعون مليوناً ، وهي لا تستطيع أن تطعم نفسها ولا أن تمون صناعاتها بالمواد الأولية إلا بالاستيراد الواسع النطاق ، وإذن فلا بد لها من الاصدار . ومن الأمور القاطنة أن انجلترا لا تستطيع أن تستغل بمواردها عن العالم . على أن انكماش الصناعة في انجلترا لم يزد إلى زوال في مستوى المعيشة لدى السكان ، بل تحسن هذا المستوى . ولا نقول إن نقص الصادرات كان سبباً في هذا التحسن ، بل الأصح أن نقول إن الأمرين قد يسيران معاً .

ثم إن لاحظ أن انجلترا تستطيع أن تكفي نفسها في الحرب بحسب الأحوال . فقد خفضت وارداتها إلى النصف ، وزادت في إنتاج طعامها غلياً نحو ثلاثين في المائة وزادت صناعاتها في التسليح زيادة عظيمة ، وذلك يدل على مرونة في التكيف بحسب الظروف . وإذا كان من المحتمل أن تصير التجارة الخارجية أقل ثمناً ، فإنه ليس في استطاعة انجلترا أن تقلل عما تدفعه في المخرج ، وقد نستطيع أن تسد هذه الهوة بالاستدانة مؤقتاً ، ولكنها لا تستطيع أن تستمر على ذلك طويلاً .

كتاب فرنسي جديد

ظهر في عالم الكتب بفرنسا كتاب جديد قابل للنقد مقابلة حاسية وأثنوا عليه ، وهو كتاب « قصص غير مثالية » من تأليف فرنسوا ثرينيه . والمؤلف شاب فرنسي توفي بمرض دأشوا ، وهو المقتل الألماني الشهير ، في ٢٦ مارس سنة ١٩٤٥ إذ أصيب بحمى التيفوس فانهت حياته وهو في السابعة والعشرين من عمره . وكان معروفاً في أوساط المقاومة باسم ستينير ، وقد سجن قبل تده إلى المقتل الألماني في غرفة صغيرة بسجن فرين فسط على جدران غرفته ستين قصيدة من الشعر مستشر قريباً في ديوان مستقل .

وقد نشر أول كتاب له وهو في التاسعة عشرة من عمره ، واسمه « ذلك الوقت السعيد » . ونشر له في باريس في سنة ١٩٤٤ كتاب اسمه « لن تموت » نقله أحد الفرنسيين في حقيقته إلى مقتل دأشوا ، ولكنه لسوء الحظ وصل متأخراً إذ كان المؤلف قد دخل في دور النزع .

وكتاب القصص غير المثالية عبارة عن مجموعة من ست قصص كتبها في تلك الأيام التسة

التي مرت بفرنسا ، فوصف رجال فرنسا ووقع الاحتلال الأجنبي في نفوسهم وما يجول
بجناحهم من آلام وآمال .

وقد أطلق على أشخاص القصص أسماء رمزية استعارها أحيانا من الأساطير القديمة ،
وأحيانا من الأسماء التي تطلق على الصور في أوراق اللعب ، فإلى الأشخاص في ذلك الزمن
التص إلى لعبة للأقدار . ولقد فهم قريته في موقف رجال فرنسا حين ذاك من روح
صناعية ، وشعر بما في هذه السنوات من هذه الروح ووصفها بعين شاعر . ولقد صدق
حين جعل أحد أشخاص قصة من قصصه يقول : « إن هنالك شيئاً واحداً يحملك على أن تمشي
الحرية إلى الأبد ، وهو أن تكون قد خضعت مرة لسلطان الظلم » .

جومون واختراعاته السينمائية

اخترع مسيو ليون جومون المخترع السينمائي الشهير ، وهو الآن في الثالثة والثمانين من
عمره ، اختراعاً جديداً كما تروى نشرة الأخبار الفرنسية .

فهو يعيش في ضيعة بجهة توريل على مقربة من بلدة سانت مكسيم بفرنسا ، يعيش
وحيداً بعيداً عن معمله ، ومع ذلك أخذ يضع القواعد لفكرة جديدة لا بد أن يكون لها
تأثير في الماديات ، ولا بد أن تحدث ثورة في الحياة العملية ، وهذا الاختراع هو أقرب
إلى الأساطير والتكهنات منه إلى الحقيقة ، فهو عبارة عن « المراسلة الحية بواسطة السينما »
وذلك بأن تمد ورقة بسيطة من أوراق المراسلة إعداداً خاصاً حتى يمكن عليها تسجيل صوت
المرسل وصورته . فينشأ عن ذلك أن المرسل إليه ، بواسطة طريقة مشابهة للوحة الحساسة ،
يسمع صوت المرسل ويرى صورته .

وليس تحضير ورقة الرسائل مشابهاً لما في التصوير الشمسي ، الذي يكون بواسطة الحمام
المحتوى على الأملاح ، وإنما يكون تحضيرها بواسطة عملية غازية .

ولا شك أن عالم السينما يذكر مسيو ليون جومون بما له من اختراعات عدة ، أهمها
« الكرونوفون » الذي قدمه لأكاديمية العلوم بفرنسا في سنة ١٩١٠ ، وفيه واقع
بين الصورة والصوت ، وكان هو أول من أخرج شريطاً بالألوان في سنة ١٩١٩ اسمه
« موكب النصر » .

المجلس البريطاني ونشاطه

في بولية سنة ١٩٤٥ أي على أثر نهاية الحرب العالمية الثانية ، كان المجلس البريطاني
— كما جاء في تقريره عن سنة (١٩٤٤ — ١٩٤٥) — قد بلغ عشر سنوات من نشاطه .
إذ أنشئ هذا المجلس بقصر سان جيمس في بولية سنة ١٩٣٥ . وفي هذه السنوات العشر
تداول رئاسته أربعة من رجال إنجلترا البارزين ، وهم لورد تيرل ، ولورد استانس بيرسي
ولورد لويد ، والسير مالكولم روبرتسون ، وارتفعت الاعانة التي خصصت له من خمسة آلاف
جنيه عند إنشائه إلى مليونين وستمائة ألف في نهاية هذه السنوات العشر ، لما بدأ من نموه ،
إذ أصبح عاملاً مهماً في العلاقات بين بريطانيا والبلاد الأخرى .

من وراء البحار

وبلبن من هذا التقرير أن نشاطه امتد إلى إحدى وثلاثين دولة أجنبية أو مستعمرة بريطانية ، وله ممثلون فيها يمثل هذا العدد . وقد أنشأ تسعة وتسعين مهنياً بريطانيا في البلدان المختلفة ، كما امتد نشاطه إلى اليونان ويوغسلافيا وإيطاليا وإلى البلاد المحتلة من ألمانيا في ربيع سنة ١٩٤٥ . وزاد عدد الجمعيات الثقافية التابعة للمجلس في أمريكا الجنوبية من ٢٧ جمعية في سنة ١٩٤١ إلى ٤٦ جمعية في سنة ١٩٤٥ .
وفي مارس سنة ١٩٤٥ كان المجلس يدرس اللغة الإنجليزية لأكثر من عشرة آلاف طالب في تركيا .

وعين بفضل مجهودات المجلس ٣٧ أستاذاً بريطانيا في الجامعات الأجنبية ومعاهد التربية العليا ، وأرسل ١٦١ من متخرجي الجامعات الأجنبية إلى بريطانيا ليتزودوا من العلم فيها .

وفي سنة ١٩٤٠ كان المجلس قد بدأ يطبع سلسلة من النشرات باللغة الإنجليزية ، وبلغت هذه السلسلة في سنة ١٩٤٥ ستاً وعدد اللغات تسعاً ، وأخرج المجلس في هذه الفترة ثمانين شريطاً سينمائياً وزع في أربع وثلاثين جهة ، وقد استعمل في شرحها اثنتان وعشرون لغة . وقد حدث في الستين الأخيرة تطوران هامان في تنظيم المجلس : أولهما إنشاء لجنة استشارية للدراسات الأدبية ، وثانيهما إنشاء قسم زراعي تابع للقم العلمي .

ومن البلاد التي يشملها نشاط المجلس غير البلاد التابعة للإمبراطورية البريطانية أو الداخلة البلجيكي ، وليس بها معهد تابع للمجلس الآن ، وإنما أظهر المجلس نشاطاً فيها وأرسل أستاذة عديدين لتعليم اللغة الإنجليزية ، وعين مستر بليك ممثلاً للمجلس في تشيكوسلوفاكيا ، وأخذ المجلس في تعيين ممثل في فنلندا .

وفي فرنسا كان المجلس قد افتتح داراً سنة ١٩٣٩ في الشانزليزه فماد رجاله إليها كما أعيد افتتاح المعهد البريطاني في شارع السربون حيث وجدت مكتبته سليمة بفضل موظفيها من الفرنسيين وحماية جامعة باريس .

وفي اليونان عاد المجلس إلى نشاطه الذي ابتدأه قبل الحرب . وبدأ المجلس نشاطاً جديداً في أيسلندا ، كما بدأ نشاطاً جديداً في إيطاليا وفي هولندا . وفي البرتغال نظم المجلس في عاصمتها زيارات ومعارض ومسرحيات وحفلات موسيقية ، وأمدها بالكتب الإنجليزية والمدرسين . وفي أسبانيا ثلاثة معاهد بريطانية ، يبلغ عدد طلبتها نحو خمسة آلاف . وبدأ المجلس منذ ثلاث سنوات نشاطاً في السويد ، وتألفت إدارات للاستعلامات عن المسائل الإنجليزية ، وأبدى نشاطاً في خدمة الفنون والآداب . وفي تركيا يتزايد الإقبال على مفتحات المجلس ومعاهده ومكتباته . وفي أثينا افتتح عدة معاهد في مدن تلك الدولة . وفي العراق توجد خمسة معاهد ومدرسة لتربية الاطفال ، وفي إيران توجد أربعة معاهد في مدن مختلفة ، وكان نشاط المجلس عظيماً .

والمجلس أيضاً نشاط عظيم في الأرجنتين والبرازيل وشيلي وكولومبيا وكوبا والمكسيك وبيرو واكوادور وباراجواي وبيرو وجواي وفنزويلا وخمس من دول أمريكا الوسطى . وله نشاط عظيم في أرجاء الصين .

ولسنافي حاجة إلى ذكر مجهودات المجلس في أنحاء القطر المصري . ولا ريب في أن هذا التقرير مفيد جداً لمن يريد أن يتطلع على نشاط الثقافة الإنجليزية في أنحاء العالم .

الدعاية في أواسط إفريقية

في المجلة الجغرافية الانجليزية (عدد مارس ١٩٤٦) بحث شيق في تجربة قامت بها الدعاية الانجليزية في إفريقية لتثقيف جماهير الافريقيين من الذين يعيشون عيشة بدائية في أواسط تلك القارة وشرقها . وقد كتب هذا البحث مستر أليك دكسون الذى أشرف على هذه التجربة ، ولم يكن الغرض منها إلا الدعاية للحرب .

ابتدأت التجربة أولاً تحت ضغط الحاجة إلى المتطوعين في قيادة شرق إفريقية ، فقد ذهب الزمن الذى كان يتقاطر فيه أهل البلاد للخدمة العسكرية البريطانية في جميع أنحاء تلك الجهات . ويروى مستر ديكسون أن بعض أهل البلاد كانوا يقدرون موقف بريطانيا ، وقد كتب طالب في إحدى المدارس يقول : « إن الرق ليس غريباً عن الافريقيين ولكنهم يضارون بالألمان أكثر من غيرهم ، إذ أن هتلر يعتبرهم من القروء . »

هذا ما كتبه الطالب ، ولكن كثرة الافريقيين من المتعلمين أو أنصاف المتعلمين على قول مستر ديكسون يفكرون تفكيراً آخر ، فهم يقولون : « لقد أفتننا الأوروبيون بأن نعدل عن الحروب ، وهاهم أولاء يتقاتلون » أو هم يرون « أن الكثير من الأمم الأوروبية لا تفهم كيف تؤثر فيها الحرب ولذلك بقيت على الحياد ، إذن كيف يفهم الافريقيون أن الحرب تؤثر فيهم ؟ » ثم إنه كانت هنالك دعايات أخرى انتشرت فيهم لاسيما في بوجندا ، إذ أخذ الناس يزعمون أن الحقن التى تعطى للجنود قبل رحيلهم تسبب المقم . ولا ريب في أن الدعاية الألمانية كانت قد بلغتهم . ولعل أكبر أنواع تلك الدعاية كانت الانتصارات الكبيرة التى تردد صداها في أنحاء العالم . فلقد سمع أحد رجال الدعاية الانجليزية رجلاً من أهل تلك الجهات يسأل عند ما رأى شريطاً سينمائياً يمثل الدبابات الانجليزية : « نجياً ! هل لدى الانجليز دبابات أيضاً ! » وأت القيادة البريطانية في تلك الجهات أن تعالج هذا الامر ، فقر رأبها على أن تعتمد على فريق من العساكر المدرين الذين يمثلون خير أبناء تلك الجهة ، لكي يشرحوا لمواطنيهم الحرب والغرض منها . وكانت هذه الفرقة تنتقل في أرجاء تلك البلاد الواسعة ، وقد قطعت ما يزيد على ثلاثين ألف ميل وحضر العرض أكثر من مليون من الأنفس .

وكان أساس هذا العرض قائماً على التمرينات الرياضية ؛ فإن عرض الأسلحة لدى هؤلاء الشعوب قد يكون خطراً ، وقد يكون مخيفاً . أما التمرينات الرياضية فانها تؤثر فيهم عند ما يرون أبناء جلدتهم وهم يقومون بها . ولقد كتبت إحدى الوطنيات تصف تأثير هذا العرض فيها تقول : « إنهم حمل بعضهم بعضاً كالقردة ، وتسلق بعضهم فوق بعض كاللانسكة ! » ووصفت أخرى قفزاتهم السريعة بأنها شبيهة بنور البرق في العاصفة .

وقد استعملت مكبرات الصوت في وصف العرض ولكن كثيراً ما كان تأثيرها في بعض القبائل منيراً لما أراد العارضون .

وكان من المناظر المؤثرة في الأهالى عرض الجنود الافريقيين في أزياء قديمة ثم في أزيائهم الحديثة التى يرتديها الجنود الآن .

ويرى مستر ديكسون أنه من السهل الاستمرار في تثقيف الجمهور الافريقي في زمن السلم ، على أن يعمد في ذلك لوحدة من وحدات الجيش ، وأن يكون العمل تحت إمرة الجيش .